الطب المصري القديم

خرافتان مصريتان قديمتان

« أخذ الاثر » و « الوقاية بشرب المياه السحرية »

الغرض من هذه المقالة هو اظهار اصل خرافتين شائعتين الآن بين سكان القطر المصري يرجع تاريخهما الى حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد أيام العائلة العشرين وهاتان الخرافتان — أخذ الاثر — والوقاية بشرب المياه السحرية وردتا مدوّنتين عرضاً في احدى الروايات الدينية المكتوبة بالخط الهيراطيقي على قرطاس مصري قديم محفوظ في متحف تورين من اعمال ايطاليا. وأول من نشر هذا القرطاس بليت "Pleyte" وروسي Rossi (١) ثم ترجمهُ ليفيبور Lefébure (٢) بالفرنسية وفيدمان Wiedmann بالالمانية (٣) وبعد ذلك لخصهُ كل من الاستاذين ادولف إرمن Adolf Ermann (٤) وجاستون ماسبرو Gaston Maspero (٥) ثم ان السر ولس بدج Budge نقل نقوش هذا القرطاس من الخط الهيراطيقي الى الهيروغليفي واعاد ترجمتهُ وطبعهُ

والقرطاس يحوي رواية دينية تعرف بقصة «رع» (اي معبود الشمس) وإزيس « زوجة أزوريس » وتبدأ هذه الرواية بسرد أوصاف المعبود رع العظيم بصفته خالق الكون الاعظم وبذكر اسماء هذا المعبود العديدة غير المعروفة حتى للمعبودات وكانت المعبودة إزيس حينئذٍ تعيش بين الخلق كامرأة ساحرة برعت في العزائم والقراءات السحرية او بعبارة اخرى كانت تعيش كإحدى النساء اللاتي يشاهدن الآن في شوارع القاهرة يدعين معرفة « فتح البخت ورمي الودع وقياس الاثر ». وورد في القرطاس المذكور ان إزيس برعت في الطب ايضاً وسميت «بامرأة الطب». وهذا الجمع بين صناعتي السحر والطب كان شيئاً معتاداً عند قدماء المصريين لانهم

(1) Papyrus de Turin bll. 31; 77, 131 138
(2) A. Z. 1883 p 27 ff.
(3) Die Religion p 29.
(4) Aegypten p 353 ff.
(5) Les Origines p. 162 4..

كثيراً ما كانوا يستعملون السحر في معالجتهم الامراض المستعصية . ولا تزال بعض تلك العادات موجودة بين منجّماتنا اللاتي يمارسن فنّ التنجيم ومهنة الختان ويطفن في الشوارع منادياتٍ لشوف البخت وتدجّ وتطامر (أي توشم وتؤدّي عملية الختان)

وفي هذه الرواية ان المعبودة ازيس استعملت سحرها بين الناس ردحاً طويلاً من الزمن حتى سئمت ثم طمحت نفسها لسود المعبودات والارواح. ففكّرت في ذلك وقرّ رأيها ان تعرف اسم المعبود (رع) السري الذي يترتب عليه بقاؤه في الكون . وكان (رع) يحرص جدًّا على اسمه لانهُ يعلم ان كل مخلوق يتوصل الى معرفته يسود عليه . فلما ظهر لازيس صعوبة الامر بالطرق المعتادة ابتكرت طريقة جديدة لذلك

كان المعروف بين قدماء المصريين في تلك العصور ان الساحر اذا حصل على جزء من جسم انسان كشعره أو ظفره او بعض جلده او مفرزاته امكنهُ ان يسحرهُ ويضرّهُ ضرراً بليغاً . فلاحظت إزيس ان (رع) هرم وضعف وسقط لعابهُ على الارض فانتهزت الفرصة واخذت بعضاً من لعابه ومزجتهُ بطين وصنعتهُ بهيئة ثعبان سام ثم تلت عليه عزائم شديدة ووضعتهُ في طريق (رع) رجاء ان يلدغهُ يوماً من الايام وقت سياحته فوق القطر المصري

وعلى ذكر استعمال لعاب (رع) نقول ان بعض السحرة في القطر المصري يشترطون أخذ اثر الشخص المراد سحرهُ ويمزّمون عليه فيكون بذلك الواسطة بين الساحر والمسحور . وكثيراً ما يختلف نوع الاثر في مذهب السحرة فبعضهم يطلب شعراً ومنديلاً او ظفراً او لباساً . ويعتقد البعض ان مفعول السحر يبقى ببقاء الاثر عند الساحر . وتسمى هذه الطريقة عند العامة باخذ الاثر . وتشاهد يومياً عند عامتنا خصوصاً فيما يتعلق بامور المحبة والعشق . اتذكّر ان مريضاً سليم العقل والذاكرة اتى اليّ ذات يوم قائلاً انهُ تزوج بقريبة لهُ كان ولعاً بها لكنهُ كرهها ولم يعد يتصورها واعتراهُ الارق طول ليله فقلت لاي شيء تعزو هذا الامر ؟ قال كنت أحب امرأة قبلها وبلغني انها اخذت أثري وهو منديلي فسحرتهُ وما دام هذا الاثر موجوداً عندها فلا رجاء لي ان اشفى . قلت هذا وهم ووصفت لهُ علاجاً فتحسن نوعاً ثم رجع الحال الى ماكان عليه . ومن الغريب ان والد هذا

المريض واقاربهُ وجمعاً غفيراً من معارفهِ كانوا كثيري الاهتمام به لفكّ هذا السحر فأحالوهُ على طائفة كبيرة من المشائخ واستمر الحال على ذلك ستة اشهر تقريباً كاد يطلق عروسه اثناءها ولا ان منّ الله عليهِ بالشفاء على يد احد السحرة المهرة ! وليست هذه الحادثة بالفريدة من نوعها . فكثيراً ما يصادفنا امثالها اثناء اشغالنا اليومية

واستعمال الثعبان للاضرار بالمعبود « رع » يذكرنا بما يجري الآن في السودان في جهاتهِ المعروفة باسم بانيورو Banyoro فان اهالي تلك الجهة يصطادون الجاموس بتثبيت ذيول الثعابين السامّة عامير في الارض في طريق سير الجاموس فتتمكّن تلك الثعابين من لدغهِ وقتلهِ . ويقال ان عدد الجواميس التي يقتلها الثعبان الواحد في اليوم يبلغ العشرة احياناً والفريسة الاولى لا تأكلها الاهالي لانهم يعتقدون انها سامّة واما الباقي فيؤكل[1]

وجاء في الرواية الدينية المشار اليها آنفاً ان الثعبان الذي وضعتهُ إزيس في طريق « رع » لدغهُ وافرغ سمّهُ في جسدهِ فأثر فيهِ كثيراً وسبّب لهُ المآ شديداً فارتعش فكّاهُ وصرخ من الالم . فلما سمعت المعبودات صراخهُ اسرعت اليهِ . فاخبرهم بما حصل فقالوا ان هذا الحادث غريب لان « رع » محفوظ بالوسائل السحرية وباسمهِ السحري. فامر « رع » باحضار كل آلهة السحر . فحضروا وكانت بينهم « ازيس » فالتفتت اليهِ قائلة «ماذا اصابك ايها الوالد المقدس» فاجابها ان ثعباناً سمّهُ أحرُّ من الجمر وابرد من الماء لدغهُ فارتعشت اعضاؤهُ وضعف بصرهُ . فاجابتهُ ماكرة « خبّرني باسمك ايها الوالد المقدس فان كل من يفشي اسمهُ يعيش فسرد « رع » افعالهُ وصفاتهِ الآلهية وختم كلامهُ بان اسمهُ (خيرا) في الصباح و(رع) في الظهر و (تمو) في المساء ظناً منهُ ان ذلك كاف لاقناع ازيس فتبدأ حينئذٍ بشفائهِ لكن هذه الحيلة لم تخدع « ازيس » لانها علمت ان « رع » لم يفش اسمهُ السرّي فامتنعت عن معالجتهِ وازداد المهُ وسرى السم في جسمهِ فقال في نفسهِ « ان ازيس تسعى وراءي وان اسمي السرّي سيترك قلبي ويدخل جسمها ». ثم ترك مركبتهُ السماوية التي طاف بها السماء ملايين من السنين واحتجب عن الآلهة التي فيها فحامر « ازيس » الشك في قول (رع) واتفقت مع (حوذيس) على ان لا تشفي (رع) حتى يقسم لها بانهُ

(1) Johnston Uganda Vol I p 584.

اذا لم يفش اسمهُ يخسر عينيهِ (اي الشمس والقمر) فوافق (رع) في آخر الامر على ذلك وخرج اسمهُ السري من قلبهِ ودخل جسم ازيس. واصبح في عالم الاموات. ثم تلت ازيس عليهِ العزيمة الآتية : — « اخرج ايها السمّ الزعاف من جسم (رع) اخرجي يا عين حوريس منهُ واضيئي من خارج فمهِ. انا ازيس الساحرة التي تخرج السمّ من الجسد وتطرحهُ على الارض . لقد اخذت من المعبود الاكبر اسمهُ السرّي وسيبقى (رع) حياً اما السمّ فيموت لانهُ اذا عاش السمّ مات (رع) »

واصبح لهذه العزيمة منزلة كبيرة في تلك العصور الغابرة . واعتاد القوم تلاوتها للوقاية من الحشرات لانها اخرجت السمّ من (رع) ولكونها من ابتكارات (ازيس) ولانها كانت الواسطة لمعرفة اسم (رع) السري

قال الكاتب المصري القديم « اذا قرأت هذه العزيمة على ورقة بردي او خرقة من الكتان او تمثال احدى المعبودات (نو) أو (حروحكنو) او (ازيس) او (حوريس) قوي مفعولها السحري واذا وضعت ورقة البردي المذكورة في ماء وشربهُ الانسان انتقل اليهِ مفعول العزيمة وسلم جسمهُ من لدغ الثعابين

ولا يزال امثال هذه الخرافة موجوداً بين عامتنا الاّ انها حرّفت نوعاً بتغير الاديان فيشاهد ان بعض السحرة يتلون احدى العزائم ثم يبصقون في ماء يتناولهُ المستشفي فيشربهُ وهذه الطريقة في اعتقادهم كافية لوقاية الانسان من لدغ الثعابين والافاعي

ويلاحظ احياناً ان بعض تلك العزائم تكتب على ورق يذاب في ماء يشربهُ الشخص الراغب في الوقاية من لدغ الحشرات وتكتب احياناً على آنية تعرف عن العامة باسم (طاسات الخضة) يصبُّ فيها الماء ويعطى للشخص المذوغ او المرعوب الذي يراد شفاؤهُ

وهكذا وصلت الينا خرافة قدماء المصريين محرّفةً يسيراً بان اناء السحور بقي من يشربهُ من لدغ الثعابين

الدكتور حسن كمال
طبيب بمستشفى الحميات